



## معهد الدراسات الإسماعيلية

**العنوان: القرآن في حياة وممارسة المسلم**

**المؤلف: الدكتور محمود م. أيوب**

**المصدر:** هذه نسخة منقحة عن مقال كتبه محمود أيوب والذي نشر بالأصل في 'التقويم الإسلامي' الصفحات ٣٥٥ - ٣٦٤، حرره أ. نانجي).

**الناشر:** ١٩٩٦ Gale Research, Inc. Detroit, MI

**موجز:** لقد قيل وكتب الكثير عن القرآن- منها أنه كتاب مقدس، كتاب مزور، تجميع لأفكار متباينة، أدب عظيم، أو عينة مشوشو حلم بها عقل بدائي. في حين أن القرآن كان مصدر حيرة لفهم الغرب، فقد كان بالنسبة للمسلمين مصدراً للإلهام، والعزاء، والخلاص. وفي الحقيقة، لم يكن القرآن بحد ذاته وإنما تأثيره على المجتمعات المسلمة ما كان الدافع وراء إستكشاف القراء الغربيين لبعض قوى وجمال القرآن.

---

تم الحصول على حقوق النشر من الناشر المذكور.

إن استخدام المواد الموجودة على موقع معهد الدراسات الإسماعيلية يشير إلى القبول بشروط معهد الدراسات الإسماعيلية لإستخدام هذه المواد. كل نسخة من المقال يجب أن تحتوي على نفس نص حقوق النشر التي تظهر على الشاشة أو التي تظهر في الملف الذي يتم تحميله من الموقع. بالنسبة للأعمال المنشورة فإنه من الأفضل التقدم بطلب الإذن من المؤلف الأصلي والناشر لإستخدام (أو إعادة استخدام) المعلومات ودائماً ذكر أسماء المؤلفين ومصادر المعلومات.

## القرآن في حياة وممارسة المسلم

الدكتور محمود م. أيوب

هذه نسخة منقحة عن مقال كتبه محمود أيوب والذي نشر بالأصل في التقويم الإسلامي (بحث غيل، ديترويت، م. إي: ١٩٩٦، الصفحات ٣٥٥-٣٦٤، حرره أ. نانجي).

### موجز

لقد قيل وكتب الكثير عن القرآن- منها أنه كتاب مقدس، كتاب مزور، تجميع لأفكار متباينة، أدب عظيم، أو عينة مشوشو حلم بها عقل بدائي. في حين أن القرآن كان مصدر حيرة لفهم الغرب، فقد كان بالنسبة للمسلمين مصدراً للإلهام، والعزاء، والخلاص. وفي الحقيقة، لم يكن القرآن بحد ذاته وإنما تأثيره على المجتمعات المسلمة ما كان الدافع وراء إستكشاف القراء الغربيين لبعض قوى وجمال القرآن.

### الكلمات الرئيسية

القرآن، النبي محمد، تلاوة القرآن، الوحي، التاريخ المسلم، جبريل.

### القرآن كوحي

يسمع المسلم التقي في القرآن، صوت الله موجهاً ومشجعاً، موسيماً ومؤنباً، واعداً الصالحين بالرحمة والنعيم الأبدي، ومهدداً المشركين بالغضب والعذاب الأبدي. وبالنسبة للمسلمين، فإن القرآن هو كلمة الله، التي دخلت الزمن الإنساني لتشكل التاريخ. ووفقاً لمصادر مسلمة، فقد كشف الملاك جبريل نفسه للنبي محمد في عام ٦١٠ م عندما كان في حالة تأمل في كهف في جبل حراء، خارج مكة. ويقال أنه في هذا اللقاء الأولي، أمسك جبريل محمد بشدة لدرجة شعر بأنه اختنق. يقول القرآن أن الملاك أمره بعد ذلك:

اقرأ باسم ربك الذي خلق (١) خلق الإنسان من علق (٢) اقرأ وربك الأكرم (٣) الذي علم بالقلم (٤) علم الإنسان ما لم يعلم (٥) (القرآن ٩٦: ١-٥).

يقول المسلمون أن الله حذر النبي محمد: ' إنا سنلقي عليك قولاً ثقیلاً '، وأمره بأن يقضي معظم الليل في الصلاة، وأن يذكر بشدة ما قيل له أن يكون، "ربُّ المشرق والمغرب" (القرآن ٧٣: ٥ و ٧٣: ٨). وبالنسبة للمسلمين فقد جعل هذا "القول الثقيل" النبي محمد آخر رسول من الله للبشرية؛ و كان لهذا الحدث لها تأثير كبير على مسار التاريخ البشري.

يقال بأن القرآن قد بُلغ للنبي محمد بطريقتين. يعتقد المسلمون أنه أبلغ عن طريق الملاك جبريل. وقد تم الكشف عن هذه التواصلات في أجزاء صغيرة: آيات منفردة، أو مجموعات من الآيات، أو فصول كاملة 'سور' على مدى فترة من ٢٠-٢٢ عاماً. القرآن بالنسبة للمسلمين ليس فقط مجرد كلمات يمكن أن تلفظ، أو تسمع، أو تسجل؛ بل هو أيضاً الأصل الإلهي الذي يمثل القرآن المقروء والمكتوب نسخة دينوية منه. إن القرآن في أصله الإلهي هو بالنسبة للمسلمين مصدر الوحي الإلهي عبر التاريخ البشري وهو محفوظ إلى الأبد من قبل الله. هو عهد الله مع البشرية الذي بدأه مع بني آدم عندما كانوا مجرد أفكار أو خلاصات في المملكة الإلهية. لقد عُرف بأن

النبي محمد أيضاً كان قد شهد هذا القرآن الإلهي، بالإضافة لكونه متلقي الوحي. لقد خاض حالة روحية عظيمة، فيها الإرتعاش كما في يوم صيف حار أو التعرق في يوم شتوي بارد، وسماع أصوات أحياناً كقرع الجرس. لقد حولت هذه الأصوات نفسها في وعيه إلى كلمات بشرية، والتي قام بحفظها وتسجيلها.

يعتقد المسلمون أيضاً بأن جزءاً من القرآن قد أنزل على قلب النبي محمد في "ليلة القدر" (القرآن ٤٤: ٣ و ٩٧: ١)، وهي ليلة مباركة لجميع المسلمين. كرّس هذا الحدث حياته وجعل النبي محمد مثلاً يحتذى به المسلمون. في القرآن، يسأل الله تعالى: 'أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟' فيجيب أولئك الذين اختاروا عبادة الله بعبارة: 'بَلَى شَهِدْنَا' (القرآن ٧: ١٧٢). القرآن هو خاتم وشهادة على هذا العهد. ورسالته بالنسبة للمسلمين، هي تأكيد عظيم على السيادة الإلهية والتزام المسلمين.

لقد كان القرآن الكريم بإعتباره النص الديني مرتبطاً بشكل وثيق بالتاريخ الإسلامي. وكان بمثابة الرد على مشاكل المجتمع العربي في زمن النبي محمد. وكان القرآن أيضاً رداً على أسئلة النبي محمد عن معنى الحياة البشرية وسر الخلق، وكان مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بتاريخ المجتمع المسلم الوليد في مكة، وبعد ذلك في المدينة المنورة. لقد نزلت الكثير من الآيات القرآنية للإجابة على أسئلة محددة أو مواقف في الحياة. وقد اعتبر المسلمون هذه الإجابات المقدمة لتكون مبادئ عامة، وضرورات أخلاقية، أو كتعاليم تنطبق على كل زمان ومكان. ينظر المسلمون إلى أهل البيت، والذين ذكرهم القرآن مباشرة (انظر القرآن ٣٣: ٣٢)، كنموذج لجميع الأسر وجميع المجتمعات في العالم.

## ترتيب القرآن

لقد كُتب القرآن وحفظ في وقت لاحق عن طريق رجال ونساء معتقدين للإسلام. ومع ذلك، عندما توفي النبي في عام ٦٣٢ م، وبعد مرور عشر سنوات من الهجرة، أي الهجرة من مكة إلى المدينة، لم يكن القرآن موجوداً كما هو معروف اليوم. وكانت الآيات والفصول، أو 'السور'، في ذلك الوقت قطعاً متناثرة من كتابات النبي محمد، وقد حفظت على قطع من الرق والحجر وجريد النخيل والجلد بشكل شخصي، بالإضافة إلى الكلمات التي حفظت في الذاكرة البشرية. وقد أعطي القرآن شكله الأساسي، والذي لم يتغير حتى يومنا هذا، في عهد الخليفة المسلم الثالث عثمان، الذي حكم الجماعة المسلمة لعدة أجيال بعد وفاة النبي محمد. وكانت السور قد رتبت عموماً بحيث، وفقاً لطول السور من الأطول إلى الأقصر. وقد حفظ هذا الترتيب كنسخة موثقة من القرآن.

إنه لمن الضروري على كل مسلم تقي أن يتذكر أكبر قدر ممكن من القرآن. تبدأ صلاة المسلم لوحده في غرفة أو مع الجماعة بكلمات سورة إفتتاح القرآن (سورة الفاتحة). وتعتبر الصلاة وسيلة للمسلمين لذكر كلمة الله. وقد عبّر ببلاغة عن هذا التبادل الإلهي البشري في الحديث القدسي، قول للنبي نقلاً عن الله:

"قال الله عز وجل: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدني ما سأل. فإذا قال: 'الحمد لله رب العالمين'، قال الله: 'حمدني عبدي'، وإذا قال: 'الرحمن الرحيم'، قال الله: 'أثنى عليّ عبدي'، فإذا قال: 'مالك يوم الدين'، قال الله: 'مجدني عبدي'، فإذا قال: 'إياك نعبد وإياك نستعين'، قال الله: 'هذا بيني وبين عبدي ولعبدني ما سأل'. (م. أيوب، القرآن وتفسيراته)

تعتبر الفاتحة وهي سورة إفتتاح القرآن، من قبل المسلمين صلاةً كاملة. أول ثلاثة ونصف من آياتها السبع هي صلاة الثناء. بقية السورة هي صلاة من أجل الهداية والنعمة الإلهية. ليست الفاتحة فقط ولكن القرآن كله هو صلاة للمسلمين. وهو أيضاً خطاب إلهي للمسلمين. وهكذا، في كل صلاة، يؤمن المؤمن المسلم بأن الله سيكشف نفسه له وسيحصل على كلمة الله. إن صلاة المسلم هي صلة وصل الإنسان مع الله من خلال القرآن.

## القرآن كتلاوة

القرآن بالنسبة للمسلمين هو مصدر للبركة والفضل الإلهي وللطمأنينة والهداية. يُحَيِّي به الطفل عند الولادة، وبه يهتدي عبر مسيرة الحياة، ومعه يرسل إلى مثواه الأخير. تشتمل هذه الرحلة الطويلة للحياة مع القرآن على تلاوة كاملة للقرآن عبر فترات محددة أو عبر أسبوع أو شهر أو أطول من ذلك، وذلك وفقاً لأجزاء النص المقدس المعد للتلاوة اليومية. تعرف هذه العملية 'بختم' القرآن. في مناسبات خاصة، مثل شهر الصيام في رمضان، حيث يعكف الورعون على تلاوة القرآن كاملاً وذلك بتقسيمه لثلاثين قسماً وفقاً للليالي الشهر المقدس الثلاثين. يقال بأن النبي محمد كان قد دعا الشخص الذي يتبحر بالقرآن 'بالمسافر الذي يقيم إقامة مؤقتة'. وذلك لأن القارئ الذي يصل لنهاية التلاوة يتوجب عليه العودة إلى البداية مجدداً.

يجد المسلمون بتلاوة القرآن وحفظه ونسخه أو إقتناء نسخة منه في بيوتهم مصدراً للبركة العظيمة. وفي الحقيقة، يؤمن المسلمون بأن مكانة الرجل أو المرأة المسلمة في الجنة يوم القيامة سوف يتحدد وفقاً لما حفظوه من آيات القرآن خلال حياتهم على الأرض. كما وأن دراسة وفهم مبادئ وتعاليم القرآن يعطى قدراً أكبر من البركة والطمأنينة للمسلمين. يقال بأن النبي أعلن: 'ما اجتمع ناس في أحد بيوت الله لتلاوة القرآن ودراسته إلا وأنزل الله سكينة عليهم'. من المحتمل أن يكون أصل كلمة سَكِينَة يعود لكلمة 'سَكِينَة' في اللغة العبرية وتعني 'لمجد يهوى'. يمكن أن يكون مثل هذا الإشتقاق نتيجة لتواصل النبي محمد مع كل من اليهود والمسيحيين قبل وخلال هبوط الرسالة. 'نغمهم الرحمة، وتحيط بهم الملائكة، ويتذكروهم الله في صحبة من كان معه'. يقال بأن مرتلي القرآن وحفظته ومن يعيش وفقاً لتعاليمه هم ورثة النبي. يؤمن المسلمون بأن القرآن يقدس قلب ومنزل المسلم ويجعله مشاركاً في الوحي الإلهي. كما ويعتقد بأن نحت كلمات القرآن على البناء أو المصنع أو الآلية يجلب البركة أو الحماية.

القرآن قبل كل شيء هو 'كتاب هداية لمن يخاف الله' (القرآن ٢: ١-٥). يُدعى المؤمنون للتفكير بالقرآن ودراسة كل من معاني وتطبيقات آياته، وأن يهتدوا بها في سياق حياتهم اليومية. يقصد من القرآن أن يكون أساس المجتمع المسلم. ينظم القرآن علاقة الأبناء بأبائهم ومسؤولية الآباء تجاه الأبناء. إنه ينظم علاقات المسلم وإخوته المسلمين وغير المسلمين، وعلاقة الشخص مع الدولة وأجهزتها الحاكمة، وعلاقة الإنسان مع الله. إنه ينظم حياة المجتمع في أوقات السلم والحرب، كما وأنه يشرع الأسباب والقواعد التي تحكم الحرب. القرآن باختصار هو مدرسة للمسلمين، إنه يهذبهم من الناحية المادية والأخلاقية والروحية.

## القرآن كإلهام

القرآن هو في الأساس سلسلة من العبارات والأمثال والقصص والأوامر والنواهي المستقلة. ومع ذلك، يعتقد المسلمون أن ماتتضمنه هذه المجموعة المتنوعة هو وحدة الهدف والرسالة واللغة والأسلوب. لقد وصف القرآن باللغة العربية بدقة من قبل المسلمين وغير المسلمين على حد سواء بإعتباره سمفونية متناغمة من الكلمات. لم تخل تعاليم وأفكار القرآن حياة المسلمين وكلامهم وحسب وإنما كلماته وتعبيره أيضاً، بغض النظر عن اختلافات اللغة والعرق والثقافة بين المسلمين. يعبر المسلم بكلمات من القرآن عن ارتياحه وامتنانه لله على النجاح عندما يصرخ: 'تبارك الله' أو 'الحمد لله'. وكذلك يعبر المسلم أيضاً بكلمات من القرآن عن الحزن وقبول إرادة الله عندما يفقد أحد أفراد أسرته أو في مواجهة الموت قائلاً: "إنا لله وإنا إليه راجعون". وبكلمات من القرآن، وخصوصاً بالنطق بسورة الفاتحة، تتم مباركة الزواج، وعقد الإتياقات، والإيمان بتجنب الخوف والخطر.

وقد اعتبر المسلمون القرآن على أنه معجزة من الكلام. وينظر المسلمون إلى أسلوبه وتعبيره الفذة ووحدته الملموسة على أنه دليل على أصله الإلهي. شغل تفسيره بعض أفضل العقول لدى الجماعة المسلمة. وقد تطورت دراسة قواعد ولغة وبلاغة وتشبيهات واستعارات وأمثال وقصص ومفاهيم القرآن في العلوم الجليلية. وبالمثل، فقد استقطبت تلاوة القرآن، سواء بطريقة الترتيل البسيط أو عن طريق الأداء الموسيقي الفني المتطور بدرجة عالية (التجويد)، أفضل أصوات ومواهب المجتمع مسلم على مر التاريخ الإسلامي. فخلال تلاوة القرآن يشعر المسلمون الأتقياء بقوته وجماله. ولذلك يحظى قراء القرآن بمكانة خاصة من الشرف في المجتمع المسلم.

لقد وضع القرآن معياراً للتميز في الأدب العربي. كما وتخلل أدب لغات المسلمين الأخرى. يلقي المسلمون التحية على بعضهم البعض بعبارة من القرآن، ويعبرون عن مشاعرهم وأفكارهم بكلمات وأفكار من القرآن أيضاً. ويعتقد أن القرآن الكريم قد أنزل على النبي محمد ومن خلاله للبشرية "وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ" (القرآن ١٦: ١٠٣). وبالرغم من أن القرآن الكريم قد ترجم إلى معظم اللغات الرئيسية في العالم، فهو لا يزال يتلى في لغته الأصلية. ترجم القرآن وفسرت معانيه إلى لغات أخرى فقط لغرض دراسة وفهم تعاليمه. وللتعرف على القرآن الكريم في جميع أبعاده، لا بد من دراسته بلغته الأصلية.

وقد حفّز هذا الهدف العديد من العلماء المسلمين غير الناطقين بالعربية أن يتفوقوا في دراسة لغة القرآن. وقد كانت اللغة العربية على مدى قرون هي اللغة الدولية للأدب والفلسفة والعلوم الإسلامية. وبقي القرآن الرمز والمصدر وإطار الوحدة الإسلامية.

وقد انتشر الإسلام على إمتداد مناطق متنوعة وواسعة جغرافياً وثقافياً من العالم. وقد تكيف ليلانم احتياجات مختلف الشعوب والثقافات. وفي سياق هذه العملية اشتمل الإسلام على العديد من الشخصيات والتعبيرات المختلفة على نطاق واسع. يؤكد القرآن هذا التنوع الكبير ويوفر الوحدة الأساسية في ممارسات العبادة، والتعبير الأدبي، والثقافة الشعبية. تشكل المفاهيم المتناقضة، المتمثلة في وحدة الإسلام وتنوعه وأساسها القرآني، قوة الإسلام المعتبرة. إن مبدأ وحدة الأسرة البشرية هو مبدأ قرآني هام: يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً (القرآن ٤: ١). إن مبدأ التنوع هو أيضاً مبدأ قرآني. وإن الاختلاف في العرق واللون والعقيدة هو قدر محتّم الهيا.

لقد كان القرآن مصدراً للإلهام لا ينضب بالنسبة للمسلمين في كل مجال للمعرفة وكل مسعى إنساني. يقول المسلمون الاتقياء بأن القرآن يتحدث عن كل حالة في حياة المجتمعات المسلمة فضلاً عن وضع كل فرد مسلم. وقد أصر المسلمون على أن القرآن ينطبق على جميع الحالات وفي جميع الأوقات. ولكن، ومن أجل أن يكون عالمياً في نطاقه ومعناه، فإن القرآن يقرأ ويحفظ في قلب كل مسلم كما لو أنه أرسل عليه في تلك اللحظة، وعليه وحده.

## المراجع:

- Ayoub, Mahmoud. *The Qur'an and Its Interpreters*, ٢ vols. to date. New York: State University of New York Press, ١٩٨٤.
- Izutsu, T. *God and Man in the Koran*. Tokyo: Keio Institute of Cultural and Linguistic Studies, ١٩٦٤.
- Kassis, H.E. *A Concordance of the Qur'an*. Berkeley: University of California Press, ١٩٨٣.
- Lings, M. *The Qur'anic Art of Calligraphy and Illumination*. Boulder: Shambhala, ١٩٧٦.
- Nelson, K. *The Art of Reciting the Qur'an*. Austin: University of Texas Press, ١٩٨٥.
- Safadgi, Y.H. *Islamic Calligraphy*. Boulder: Shambhala, ١٩٧٨.
- Tabari, al. *The Commentary on the Qur'an*. Vol. ١, New York: Oxford University Press, ١٩٨٧.
- Tabatabai, M.H. *The Qur'an in Islam: Its Impact and Influence on the Life of Muslims*. London: Muhammadi Trust, ١٩٨٧.

مقال: التفسيرات الإسماعيلية الشيعية للقرآن الكريم- عظيم نانجي

مقال: حول التعددية، التعصب والقرآن- البروفسور على س. آساني